﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: 114]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

انتقلتِ الآياتُ من الحديث عن الظُّلمِ الاعتقاديِّ القوليِّ، إلى الحديث عن الظّلمِ العمليِّ الفعليِّ، فإذا كان اليهود والنَّصارى والمشركون يمنعون النَّاس من الإيمانِ بأقوالِهم؛ فإنَّ الأظلمَ من ذلك الّذي يزيدُ عليها فعلًا وعملًا، وهو منعُ ذكرِ اللّه في المساجدِ، والسّعيُ في خرابِها؛ فإنَّه الظُّلمُ العظيمُ الّذي لا يُضاهيه ظلمٌ؛ لأنَّ صاحبَه جمعَ ثلاثةَ أنواع من الظّلم هي: الظُّلمُ العقديُّ، والقوليُّ، والفعليُّ، وفي هذا التَّناسُبِ من التَّنبيهِ على خطرِ التَّعرُّضِ لمساجد اللّه بمنع ذكرِه فيها بأيِّ نوعٍ من المنع كان، ومن يفعلْ ذلك؛ يُصِبْهُ خزيُ الدُّنيا، ويلحقه عذابُ الآخرةِ، إذ يُلحَقُ باليهود والنَّصارى، ولموقع العطفِ على السَّابقِ أخذَ من اتَّصفَ بالمنع حكمَ السَّابقين في معاداةِ دين الإسلام.

وللآية وجهُ اتِّصالٍ آخر "بما قبلهَا منْ حيثُ إنَّ النَّصارى ادّعوا أنّهم منْ أهل الجنّةِ فقط، فقيلَ لهم: كيفَ تكونون كذلك مع أنَّ معاملتكم في تخريب المساجد، والسّعي في خرابهَا هكذا"[1]، وهذه الآية معطوفة "على ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، باعتبار ما سبقَ ذلك منَ الآياتِ الدَّالَّةِ على أفانينِ أهل الكتاب في الجراءةِ، وسوءِ المقالةِ"[2] وهذا ظلمٌ كبيرٌ يداني ظلمَ منعِ مساجدِ اللّه من الذّكر فيها.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿أَظْلَمُ﴾: أفعل تفضيل وزنه (أَفعَل)، مادته اللُّغويّة (ظلم)، ومعناه (وضعُ الشَّيءِ غيرَ مَوضعهِ تعدّيًا)[3] فهو خلاف الحقّ؛ فمن تعدّى من الحقّ إلى الباطل فقد

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 4/11.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/678.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظلم).

وضع الشّيءَ في غير مَوضعِه، وبذلك يُسمّى ظالمًا، والمعنى هنا أشدّ الظّلم؛ لأنّه عبّر عنه باسم التّفضيل (أظلم) بمعنى أشدّ ظُلمًا.

2) ﴿مَّنَعَ﴾: فعل ماضٍ مادته اللّغويّة (منع)، و "المنعُ أَن تَحولَ بين الرَّجُلِ والشَّيء الَّذي يُريدهُ، يُقَال: مَنعتُهُ فامتنعَ، ورَجل منيعٌ لا يخلصُ إليهِ، وفلان في عزٍّ ومَنعةٍ"[1] والمعنى هنا أن يحولَ الإنسانُ بين الآخر والمساجد؛ فيمنعه من أداء الفرائض فيها، من صلاة وذكر؛ فيكون بمنعه هذا ظالمًا.

3) ﴿مَسَٰجِدَ﴾: جمع تكسير يسمّى أيضًا مُنتهى الجموع، يفيد الكثرة، زنة (مَفاعِل)، مفرده (مَسجِد)، أصل لفظه من السّين والجيم والدّال "وسجدَ الرجلُ سجودًا، وأصلُ السُّجودِ إدامةُ النّظرِ في إطراقٍ إلى الأرضِ، وكذلك أَسجد إذا أدام النّظر"[2] والمساجد لها معنيان؛ الأوّل: الأماكن الّتي يصلي فيها النّاس جماعات، وكلُّ مَوضِع يُعبدُ فيه الله[3] وهو المرادُ هنا، والآخر: "الآرابُ الَّتي يسجدُ عليهَا، والآرابُ السَّبعةُ مساجدُ"[4]؛وهي الجبهةُ والأنفُ واليدين وغيرُهما، وهو غيرُ مراد هنا بدلالة سياق الآية.

4) ﴿يُذۡكَرَ﴾: فعل مضارع مَبني للمفعول أو المجهول، وأصل أحرفه (ذكر) و(الذّكر بالكسر له معنيان، أَحدهما التَّلفُّظ بالشَّيء، والثَّاني إِحضاره في الذّهن بحيث لا يغيب عنه)[5] وهو نقيضُ النّسيان، ومن غايات الإنسان الموصوف بالظّلم أن يصدّ المؤمن عن ذكر الله في المساجد، وقد وردَت كلمةُ (الذّكر) كثيرًا في القرآن الكريم، ولها معانٍ متعدِّدة بحسب السّياق الواردة فيه، فقد يكون ذكر القلب، وقد يكون ذكر اللّسان، وقد يكون بمعنى الصّلاة، أو البيان أو الحديث أو الشّرف أو اللّوح المحفوظ أو غيره[6] والمراد في الآية يحتملُ الصّلاة، ويحتملُ ذكرَ القلب واللّسان؛ لتعلُّق الأمر بالمساجد.

(1) الأزهري، تهذيب اللّغة: (منع).
(2) الجوهري، الصّحاح: (سجد).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 2/519.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (سجد).
(5) الكفويّ، الكليّات، ص: 456.
(6) الكفويّ، الكليات، ص: 457.

5) ﴿ٱسۡمُهُۥ﴾: (اسم) هو اسم ثلاثيّ مُجرّد، وزنه (فَعْل)، وأصل أحرفه (سمو) لأنّه مُشتقٌّ من السُّمُو[1] على أرجح الأقوال، والاسم هنا أُضيف إلى الضمير العائد عليه سبحانه؛ فيراد به عند إضافته له تعالى ما يدُلُّ على الذّات الإلهيّة، مع صفة الكمال القائمة به[2].

6) ﴿وَسَعَىٰ﴾: فعل ماضٍ معتلّ الآخر (سَعى يَسْعى سَعْيًا) فتكون أحرفه الأصليّة (سعي) و "السَّعْيُ المَشيُ السَّرِيعُ، وهو دُونَ العَدْوِ، ويُستَعملُ لِلجِدِّ في الأمرِ، خَيرًا كانَ أو شَرًّا، قال تعالى: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾"[3] فهو هنا الجِدّ في الأمر، وهو مُستعار له من المشي.

7) ﴿خَرَابِهَآ﴾: مصدرٌ للفعل (خَرِبَ)، ومادَّته اللّغويّة (خرب)، وقد أُضيف هنا إلى الضّمير العائد على المساجد، أي: خراب المساجد بمعنى إفسادها؛ لقولهم "وما رأينا من فلانٍ خُرْبًا وخُرْبةً، أي: فسادًا في دِينه أو شَيْنًا"[4] والخرابُ ضدُّ العمارة "خرِب المكانُ خلا من الأحياء، عكسه عَمَر"[5] وخرابُ المساجد يحتمل هدمها وإزالتها؛ لأنّ عكسها البناء والعمارة، ويحتمل خلوّها من مرتاديها المصلين، وهو الأنسب؛ لقوله ﷺ من حديث طويل: «وجُعِلَتْ لِي الأَرضُ مَسجِدًا وطَهُورًا»[6] فليستِ العِبرة بالبناء.

8) ﴿يَدۡخُلُوهَآ﴾: فعل مُضارع دالّ على الاستقبال من (دخل)، وهو (أَصلٌ مطَّردٌ منقاسٌ وهو الوُلوج)[7] وهو واضحٌ بيّنٌ مصدره الدّخول، لكن قد يختلف معناه الدّقيق بحسب السّياق الّذي ينتظمُه، والدّخول هنا بمعنى الصّلاة؛ لأنّ الغايةَ الّتي أُنشئَت من أجلها المساجدُ هي الصّلاة، والمعنى الدّخول لأجل الصّلاة.

9) ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾: اسم تفضيل للمؤنث من (دَنا يَدنو) فأصله (أَدْنَى دُنْوَى) زنة (أَفْعَل

(1) الزَّبيدي، تاجُ العروس: (سمو).
(2) الرّاغب، المفردات: (سما).
(3) الرّاغب، المفردات: (سعى).
(4) الخليل، العين: (خرب).
(5) أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (خرب).
(6) صحيح البُخاري، حديث رقم: (427).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دخل).

فُعْلَى) مثل (أصغر صُغرى) ثمّ حصل فيه إعلال فصار (دُنْيا)، ومعنى الدُّنو "المقاربةُ؛ ومنْ ذلك الدَّنيُّ، وهو القريبُ، منْ دنَا يدنُو، وسمِّيتِ الدُّنيا لدنوّهَا"[1] ثمّ أصبحت لكثرة الاستعمال علمًا على الحياة الدُّنيا دار الابتلاء، المقابلة للآخرة دار البقاء.

10) ﴿خِزْيٌ﴾: اسم ثلاثيّ مجرّد، أصل حروفه (خزو) ومعناه "الفضيحةُ، وقد خزيَ يخزى خزيًا إذا افتضحَ[2]، ومن معانيه الأخرى القريبة الذّلّ والهوان والمهانة[3] وكلُّ هذه المعاني محتملة في هذه الآية؛ فإنّ هؤلاء المذمومين في الآية لهم في الدّنيا الفضيحة والمهانة والذّلّ والهوان وأمثال ذلك.

11) ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: اسم على وزن (أفعَل) أصله (أأخِر) بهمزتين فأصبح حرف مدّ، وجذره اللّغويّ (أخر) "آخِر يُقابَلُ به الأوّلُ، وآخَرُ يُقابَلُ به الواحِدُ، ويُعَبّرُ بالدَّار الآخرةِ عنِ النَّشأَةِ الثانيةِ"[4] وأصبحت صفةً غالبةً لدار البقاء[5] وهو المعنى المقصود في الآية.

12) ﴿عَذَابٌ﴾: (عذاب) جذره (عذب)، وهو في الأصل (حَملُ الإنسانِ أن يُعذَّب، أي: يَجُوعَ ويَسهرَ، وقيلَ أصلُهُ من العَذْبِ؛ فَعَذَّبْتُهُ: أي أَزَلتُ عَذْبَ حياته على بناءِ مَرَّضتُهُ وقَذّيتُهُ، وقيل: أصلُ التَّعذيبِ إكثارُ الضَّربِ بِعَذَبَةِ السَّوطِ، أي طَرَفِهَا، وقد قال بعضُ أهل اللُّغَةِ: التَّعذيبُ هو الضّربُ)[6] وأكثرُ الواردِ في القرآن الكريم مقصودٌ منه العذاب الأخروي، وهو المقصود في هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

13) ﴿عَظِيمٌ﴾: صيغة مبالغة زنة (فَعِيل) للجذر اللُّغويّ (عظم)، وهو من "عَظُم الشيءُ عِظمًا: كَبُرَ، فهو عظيمٌ، والعُظامُ بالضَّم مثله، وعُظْمُ الشيءُ: أكثرُه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دني).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (خزا).
(3) السَّمين، عُمدة الحفّاظ: 1/501.
(4) الرّاغب، المفردات: (آخر).
(5) الزَّبيدي، تاج العَروس: (أخر).
(6) الرّاغب، المفردات: (عذب).

ومُعظَمُهُ"[1] ولا يخرج معناه في هذه الآية عن ذلك؛ فإنّ هؤلاء لهم في الآخرة عذاب كبير وشديد.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

صرَّحتِ الآيةُ ببيانِ حكمِ أظلمِ النَّاس، وهم المانعون مساجدَ اللّه أن يُذكرَ فيها اسمُه بأنواع الذِّكرِ، من صلاةٍ، وتأديبٍ، وتربيةٍ، وتعليم، السَّاعون في خرابِها، بإدخالِ الأصنامِ إليها، وإدخالِ أنواعٍ من العبثِ بمقاصِدِها الّتي لأجلِها بُنيَت وقامَت، وقد رُوي أنّها "نزلَت في مشركِي أهلِ مكَّةَ، ومنعهمُ المسلمينَ منْ ذكرِ اللّهِ تعالى في المسجد الحرام"[2]؛ فإنَّ كلَّ من يعبثُ بالمساجدِ بتغييرِ وظيفتِها، وإدخالِ ما ليس منها، بقصدِ الصَّدِّ عن ذكرِ اللّه تعالى؛ فإنَّه ساعٍ في خرابِها، وأولئك لهم الخوفُ عند دخولِها، والخِزيُ في الدُّنيا، والعذابُ العظيمُ في الآخرةِ.

❁ الإِيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

نكتةُ التَّعبيرِ بالاستفهامِ عن النَّفيِّ:

نفيُ الأظلَميَّةِ وإثباتُها للفاعلِ بطريقِ الاستفهامِ؛ لإعلامِ بالجَوابِ الفَصلِ

التَّعبيرُ القرآنيُّ البليغُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ جاءَ في خمسَ عشْرةَ آية في القرآن الكريم، جميعُها في سياقِ العقيدةِ في الكذبِ والافتراءِ ومحاربةِ الإسلام، وهذا هو المَوضعُ الأوَّلُ فيها، فـ﴿وَمَنْ﴾ اسمُ استفهامٍ يُفيد العموم، خبره ﴿أَظْلَمُ﴾ معناه: أشدُّ النَّاسِ ظلمًا، ومعنى الاستفهام النَّفيُ، "والمعنَى: لا أَحدَ أَظلمُ"[3]؛ فأفاد نفيَ الأظلميَّةِ عن كلِّ أحدٍ ونسبَه للمتحدَّثِ عنه، ونكتتُه نفيُ الأظلميَّة وإثباتُها للفاعل بطريق الاستفهام المثير للتَّفكُّر الذِّهنيِّ؛ للوصول إلى الجواب الفَصل.

أثرُ الصِّلةِ في دفعِ موهمِ التَّعارُضِ وبيانِ بلاغةِ الاستعمال

تعدد مُتعلَّقاتِ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ في القرآن الكريم:

الآياتُ المذكُورُ فيها تركيب ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ تُوحي بوقوع شيءٍ من

(1) الجَوهري، الصّحاح: (عظم).
(2) النَّيسَابوري، أسباب نزول القرآن، ص: 36، وابن كَثير، تفسير القرآن العظيم: 1/388.
(3) العُكْبَرِيُّ، التِّبيان: 1/107.

التّعارضِ بينها! فقد يسألُ سائلٌ عن سرِّ تكرُّرِ هذه الجملةِ في معانٍ مختلفةٍ، وهل إثباتُ الأظلميَّةِ يكون باعتبارٍ واحدٍ أو باعتباراتٍ مختلفةٍ؟! وجوابُ ذلك: هو تخصيصُ كلِّ مَوضعٍ بِصلتِه، أو بفعلِه الّذي استحقَّ من أجله أن يكونَ ظالمًا، "وإنّما هذا نفيٌ للأظلميَّةِ، ونفيُ الأظلميَّةِ لا يستدعِي نفيَ الظَّالميّةِ"[1]؛ فيتساوون في الأظلميَّة، ولكن كلّ بحسب فعله، فيكون المعنى في تلكم الآيات، "أي: لا أحد من المانعين أظلم، ممَن منع مساجدَ الله، ولا أحد من المفترين أظلم ممَّن افترى على الله، وكذا باقيها، وإذا تخصص بالصِّلات زال التّناقض"[2]، وتظهرُ بلاغة الاستعمالِ القرآنيِّ في بيانِ اتِّفاقِ من اتَّصفَ بالأظلميَّة بالذَّمِ البالغِ، مع اختلافِ الأفعالِ.

سِرُّ استعمالِ (مَنْ) دون (الّذي):

إلحاقُ الأظلميَّةِ بعمومِ من يصدُرُ عنه الفعلُ القبيحُ

آثر النَّظمُ استعمالَ (مَنْ) دون الّذي فلم يقُلْ: (ومَن أظلمُ مِنَ الّذي يمنع)؛ لإفادة العُموم؛ من جهتين؛ الأولى: احتمالُ مجيئِه موصولًا وشرطًا واستفهامًا، والأخرى: أنَّ "مَنْ" تأتي للمفرد والمثنى والجمع، المذكّر والمؤنث باعتبار المعنى، بخلاف الاسم الموصول "الّذي"؛ فإنَّه يقتصِرُ على المفرد المذكَّر؛ فإيثارُ استعمال (مَن) للإشارة إلى أنّ هذا الحكمَ (مَن أظلم) عامٌّ في جميع من يرتكب هذا العملَ الشائِنَ؛ فهو ليس مخصوصًا بشخص أو جماعة أو دين، بل هو عامٌّ في جميع من يصدُرُ عنه الفعلُ القبيحُ، بقطع النَّظر عن وصفِه، ولو كانَ مُظهرًا للإسلام.

وقوع فعل المَنعِ على المساجد:

تقبيحُ الجريمة، وتهويلُ أمرها، وتفظيعُ مرتكبها

جاءَ فعلُ المنعِ واقعًا على المساجد، لا على المصلِّين فيها، فلم يقُل: منعَ مصلِّي المساجدِ، أو روَّادَ المساجدِ، وذلك لتقبيح الجريمة،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/572.
(2) السُّيوطيّ، مُعترك الأقران في إعجاز القرآن: 1/80.

وتهويلها وتفظيع مرتكبيها، حتّى كأنّ هؤلاء يمنعون إقامةَ المساجد أصلاً، فضلاً عن تخريب العامر منها، ولو قيل: منعَ مصلِّي المساجد من ذكرِ الله؛ لاقتصر المنعُ على ذلك، ولما أعطى تلك الصُّورة الجسيمة الّتي يؤولُ إليها حالُ كلِّ منعٍ للمساجد.

توجيهُ المخصوصِ بالذِّكرِ في التَّسميةِ:

السُّجودُ أَعظمُ الهيئاتِ الدَّالَّةِ على الخضوع والطَّواعيةِ التّامّة

لفظُ مساجد في قولِه تعالى: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، هو "جمعُ مسجِد، وهو كلُّ مَوضِعٍ عُبِدَ اللهُ فيه"[1]؛ وخصّ المسجد بهذه التَّسميَةِ الدَّالّةِ على فعل واحد من أفعال الصَّلاة وهو السجود، مع أنّ فيه قيامًا وركوعًا وجلوسًا، وكلّه من أفعال العبادة، فلم "يقُلْ مقامٌ ولا مركعٌ ولا مقعدٌ ولا معكفٌ؛ لأَنَّ السّجودَ أَعظمُ الهيئاتِ الدَّالَّةِ على الخضوع والخشوع والطَّواعية التّامّة"[2] وآية ذلك قولُه ﷺ: «أَقرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبدُ مِنْ رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ، فَأَكثِرُوا الدُّعَاءَ»[3].

دلالةُ صيغةِ مُنتهى الجموعِ في لفظِ المساجِدِ:

بيانُ أنَّ مَنْ مَنعَ ذِكرَ اللهِ في مسجدٍ فقد منعَ ذكرَه في جميعِ المساجِدِ

التَّعبيرُ بصيغة منتهى الجموع (مَفاعِل) الدَّالّة على الكثرةِ، مع أنَّه قد "وقع المَنعُ والتَّخريبُ على مسجدٍ واحدٍ وهو بيتُ المقدس أو المسجدُ الحرام؟ قلت: لا بأس أن يجيء الحكم عامًّا وإن كان السبب خاصًّا"[4]؛ فتشمَل جميع المساجد، بل تشمُل الأرض جميعًا؛ فهي كلّها تصحّ أن تكونَ مسجدًا؛ لقوله ﷺ: «وجُعِلَتْ لِي الأَرضُ مَسجِدًا وطَهُورًا»[5]، وقد يكون الجمعُ للتّعظيم[6]، والصَّحيحُ أنَّ نكتةَ ذلك بالإضافةِ إلى ما ذُكِرَ هو بيانُ أنَّ من منَعَ ذِكرَ الله في مسجِدٍ واحدٍ؛ فقد منعَ على الحقيقةِ ذكرَ الله تعالى في جميع المساجد،

(1) ابن جرير، جَامع البَيان: 2/519.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/573.
(3) الإمام أحمد، المُسند: 9461.
(4) الزَّمخشري، الكشّاف: 1/313.
(5) صحيح البُخاري، الحديث رقم: 427.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/680.

وهو ما يَأْتلِفُ مع إثباتِ الأظلميَّةِ للمانع، وهذا من آثار فهم بلاغة القرآن على ضَوءِ رواياتِ أسبابِ النُّزولِ.

فائدةُ إضافةِ ﴿مَسَٰجِدَ﴾ إلى لفظِ الجلالة:

بيانُ الاختصاصِ، وما يُورِّثُه من الهَيْبةِ والتَّشريفِ والتَّعظيم

أفادَ إضافةُ لفظِ المساجِدِ للفظِ الجلالةِ الاختصاصَ؛ فهي مساجِدُ للّه؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وأضفى الاختصاصُ مزيدَ تشريفٍ وتعظيمٍ وهَيْبةٍ لها.

دلالة التّعبير بمنع ذكر اسمه:

التَّنبيه على الأعظمِ بالأيسرِ

التَّعبيرُ باسمه في قوله: ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾، دون التَّعبيرِ بمنعِ دعوتِه، أو بمنعِ التَّعلُّم أو الجهادِ في سبيلِه؛ لأنَّ "ذكرَ تعلُّقِ المنعِ بذكرِ اسمِ اللَّهِ، تنبيهًا علَى أنَّهم مُنعوا من أيسرِ الأشياءِ، وهوَ التَّلفُّظُ باسمِ اللَّهِ، فمنعهم لمَا سواهُ أَولَى"[1]، وهو ما يُثبِتُ عمقَ كراهيةِ المانعِ للإسلامِ، وهو ما يأتلِفُ مع التَّعبيرِ بالأظلميَّةِ.

نكتةُ التّعبير بالفعل المبني للمفعول:

إيثارُ الإيجازِ؛ لبيانِ بشاعةِ منعِ ذكرِ الله، في تحقيقِ عداوة المانعين لله على الحقيقةِ

حُذِفَ الفاعلُ في قولِه تعالَى: ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾، فلم يُذكرْ لعدّةِ نكاتٍ، الأولى: الإيجازُ والاختصارُ؛ فأوصافُ الذَّاكرين اللّه كثيرَةٌ، وبعدم النَّصِّ على أحدِها يشمُلُ الجميعَ، فالذَّاكرون كثيرون لا يُحصون[2]، الثَّانية: الإشارةُ إلى بشاعةِ عمل أولئك في منعِ الصّلاة والتّسبيح، وسائر الأعمال الّتي فيها ذكر اسم اللّه، أي: الإشارة إلى أهمية ذكرِ اللّه، الثَّالثة: بيانُ عداوةِ المانعين لذكر اللّه تعالى؛ فلو ذَكرَ الفاعلَ لذهب الظنُّ بأنَّ العداوةَ في الحقيقة للفاعِلين، وهي على التَّحقيقِ لذكر اللّه تعالى.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/573.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/573.

نكتةُ تقديمِ ﴿فِيهَا﴾ على ﴿ٱسۡمُهُۥ﴾:

الإشـــارةُ إلى أهميَّة المساجِدِ، بـقـصـرِ الـذِّكـرِ عليها مـن بـاب المبالَغةِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ على نائب الفاعل اهتمامًا به، فهو قصرٌ قُصِدَ به المبالغةُ على تقدير: "أن يُذكرَ فيها لا في غيرها اسمُه"، ولا رَيْبَ أنّ ذكرَ الله من صلاةٍ وتسبيحٍ واستغفارٍ ليس مقتصرًا على المساجد، بل فيها وفي غيرِها، لكن لـمّا قُصِدَتْ المبالغةُ في بيانِ قُبْحِ منعِ ذكرِ الله فيها، قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ.

سرُّ التَّعبيرِ بالفعل المضارع:

ذِكـرُ الله عبادةٌ مُـتـجـدِّدةٌ في الحياةِ كلِّها

التَّعبيرُ بصيغة الفعل المضارع في قولِه تعالى: ﴿يُذۡكَرَ﴾؛ ليُفيدَ الحركةَ المُتجدِّدَةَ، وبيانُ ذلك: أنَّ الّذي يذكُرُ الله تعالى في المساجد، هو ذاكرٌ لله في كلِّ أحوالِه، فالمساجِدُ هي أصلُ الذِّكرِ، وما يكونُ فيها من ذكرٍ فلا يقتصِرُ عليها، بل يتعدَّاها إلى الحياة كلِّها، لكن لـمَّا كانت هي الأصل، نُسِبَ ذكرُ الله في غيرِها إليها، فهو ذكرٌ متجدِّدٌ، وكان من منَعَ مساجدَ الله أن يُذكرَ فيها اسمُه، مانعًا في الحقيقةِ أن يُذكرَ في غيرِها اسمُه كذلك، وهذا يُقوِّي سرّ استعمالِ الأظلميَّةِ في هذا النَّظم.

سِرُّ استعمالِ مفردةِ السعي:

بيانُ القصدِ في الـخـرابِ، وأنَّـه صـدَرَ عـن إرادةٍ مسبقة

"والسّعيُ أَصلهُ المشيُ، ثمَّ صارَ مجازًا مشهورًا في التَّسبّب المقصود؛ كالحقيقةِ العرفيَّةِ نحو: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢﴾ [النازعات: 22]"[1]، أي: سعى عن قصدٍ في خرابِها، كما يسعى العقلاءُ في تحصيلِ منافعِهم عن تدبيرٍ وحنكةٍ؛ ففيه مزيدُ ذمٍّ لهذا المانعِ.

بلاغةُ استعمالِ حرفِ الظَّرفيَّةِ:

تـصـويـرُ وقـوعِ المانعِ في الخرابِ بـالاسـتـعـارةِ التَّبعيَّةِ

دلَّ حرفُ الجرِّ (في) على السببيَّةِ والتَّعليلِ، كقولِهم: (سَعيتُ في حاجتِك)[2]، أي: كنتُ سببًا في إنجازِ حاجتك، والمعنى في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/680.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/680.

الآية، أنّهم سببٌ في خراب المساجد، وهذا المعنى الّذي أفادَه حرفُ الظَّرفيَّةِ مستفادٌ من السِّياقِ، ودقيقُ الاستعمالِ يقضي بأنْ يكونَ معنى الظَّرفيَّةِ هو الحاضرُ، وبيانُ ذلك أنَّ سعيَ المانعِ هو في الخرابِ، فكأنَّ الخرابَ ظرفٌ دخلَه المانع فأصبح فيه، ففيه استعارةٌ تبعيَّةٌ في الحرف، أفادَت تصويرَ حالِ المانع في الخرابِ، وأنَّه مُلطَّخٌ وجهُه بآثار الخراب، وهو ما يُرشِّحُه ذكرُ الخزي في الدُّنيا.

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيّ:

إرواءُ غليلِ السَّائل عن مآلِ المانعِ، تجاوبًا بديعًا مع السِّياقِ

جاء قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾، مفصولًا عمَّا سبق؛ فهو استئنافٌ بيانيٌّ، وهو "سؤالٌ ناشئٌ عن قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، أوْ عن قوله: ﴿وَسَعَىٰ﴾؛ لأنَّ السَّامعَ إذَا علم أنَّ فاعلَ هذا أظلمُ النَّاسِ، أو سمع هذه الجرأةَ، وهي السَّعيُ في الخراب؛ تطلّبَ بيانُ جزاءٍ منِ اتَّصفَ بذلك، أو فعلَ هذا"[1]، فكانتْ هذه الجملة مفصِحةً عن مآل المانعين لذكر اللّه في المساجدِ؛ فكما منعوا النَّاسَ من ذكر اللّه بالخوفِ، تلبَّسهم الخوفُ، جزاءً وفاقًا.

فائدةُ الفصلِ باسم الإشارةِ:

استحضارُ الأوصافِ الّتي بسببِها استحقُّوا العقوبةَ الدُّنيويَّة والأخرويَّة

الإشارة بـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ للتَّنبيهِ على أنَّهُمُ استُحضِرُوا بتلك الأوصافِ ليُخبَرَ عنهم بعد تلك الإشارةِ بخبَرِهم جَديرُونَ بمضمونِه، وهذا يدُلُّ على أنَّ المقصودَ مِنْ هذه الجُمَلِ ليسَ هو بيان جزاءِ فِعلِهم أو التَّحذير منهُ، بَلِ المقصودُ بيانُ هاتِهِ الحالةِ العجيبةِ مِنْ أحوالِ المشركينَ وأهلِ الكتابِ، ثُمَّ يُرَتِّبُ العقابَ على ذلك حتَّى تُعلَمَ جَدارَتُهُم به، وقد ذَكَرَ لهم عقوبَتَينِ؛ دُنيَوِيَّةً وهي الخَوفُ والخِزيُ، وأُخرَوِيَّةً وهي العذابُ العظيمُ[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/680.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/681.

معنى حرفِ الجرِّ:

استحقاقُ الخوفِ بسبب منعِ ذكرِ الله والسّعيِ في خرابِ المساجدِ

أفادَ حرفُ اللَّامِ في قولِه تعالَى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ﴾ الاختصاصَ أو الاستحقاقَ[1]؛ فوقعَ النَّفيُ على عموم الدُّخول إلَّا في حالة الخوف؛ فحصَلَ بذلك إثباتُ الخوفِ لهم حالَ دخولِهم المساجد، أي: هم مُستحقُّون الخوف، ومخصُوصون به، وسببُ استحقاقِهم الخوفَ منعُهم ذكرَ اللّه، وسعيُهم بخرابِ المساجدِ.

دلالة ﴿مَا كَانَ﴾ إذا اقترنَتْ بالمضارع:

بشارةٌ للمسلمين؛ بإظهارِهم وإذلالِ المشركين

قولُه تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ﴾ جملة مركبة من النَّفي وفعل الكون وأنْ والفعل المضارع، وإذا "وقعَ أنْ والمضارعُ في خبرِهَا تدُلُّ على نفي المستقبل"[2]؛ ولذلك فُسِّرتْ هذه الجملةُ من الآية بالحالة المستقبليَّة، بأنَّها "بشارةٌ من اللّه للمسلمين بأنّه سيُظهرُهم على المسجد الحرام، ويُذِلُّ لهم المشركين، حتّى لا يدخل المسجدَ الحرامَ واحدٌ منهم إلّا خائفًا"[3].

بلاغةُ الفَصل بين الجملِ:

إبرازُ الجملةِ المقصودةِ بالكلامِ؛ لتقعَ موقِعَ المبيِّن من المُبيَّنِ

حسُنَ الفصلُ في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾؛ "ليكون مقصودًا بالاستئناف، اهتمامًا به؛ لأَنَّ المعطوفَ لكونه تابعًا لا يهتمُّ بهِ السّامعونَ كمالَ الاهتمام، ولأنَّهُ يجري مِنَ الاستِئنَافِ الَّذي قَبلَهُ مَجرَى البيانِ مِنَ المُبِينِ فإنَّ الخِزيَ خوفٌ، والخِزيُ: الذُّلُّ والهوانُ"[4].

فائدةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

القصرُ الادِّعائي، بإثباتِ الخِزي والعذابِ العظيمِ لمَنْ حارَبَ دينَ الله

تقديمُ الجارِّ والمجرورِ في قولِه تعالى: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾، وفي قولِه تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ وإفادَةُ حرفِ

(1) الآلُوسي، رُوح المَعاني: 2/364.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/681.
(3) القَاسمي، مَحاسن التّأويل: 1/229.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/682.

اللَّام لمعنى الاستحقاق[1]، كلاهما يُعطي الكلامَ معنى الاختصاصِ والقصر للمبالغة؛ فكأنَّ الخزيَ والعذابَ العظيمَ خُصِّصَ لهم لا لغيرِهم، مع ما لهذا التَّقديمِ من تشويقٍ لمعرفةِ الخبر.

سِرُّ اختيارِ الألفاظِ:

العِقابُ من جنسِ العملِ

اختارَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ الخزيِ لهذا المقامِ، دون لفظِ الذُّلِ وما يُرادفُه؛ لأنَّ "الخزيَ ذلٌّ مَعَ افتضاح، والخزاية الاستحياء؛ لأنَّه انقماع عَن الشَّيء لما فيه من العَيب"[2]، وهو مقام مناسب لفعلتهم، فمنعُ ذكرِ اللهِ قابَلَهُ ذلٌّ مع الفضيحة؛ لأنّ المنعَ سترٌ وتغطية، والخزي ذلّ وانكشاف، فكان الجزاءُ من جنس العمل، أو مقابلًا له.

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿خِزْيٌ﴾:

إفادةُ العمومِ والإبهامِ؛ لتحقيقِ الرَّدعِ والزَّجر

نُكِّر لفظُ ﴿خِزْيٌ﴾ لإفادةِ العُمومِ والإبهامِ؛ فيدخلُ كلُّ ما مِن شأنه أنْ يَصدُقَ عليه اسمُ الخِزي، وفيه من التَّرهيب والتّهديد وتوقُّع أنواع الذُّل ممّا لا تعهدُه نفسُ المُخاطَبِ؛ "فإنَّ الخزيَ لا يكونُ إلَّا ما يجري مَجرَى العقوبةِ منَ الهوان والإذلال؛ فكلُّ ما هذه صفتهُ يدخلُ تحتهُ، وذلك ردعٌ منَ اللَّهِ تعالى"[3].

بلاغةُ الوَصلِ بين الجملِ المُتتامَّةِ:

عطفُ الثَّانيةِ على الأُولى؛ لتأخذَ حكمَها التَّتميميَّ في البيانِ والإيضاحِ

عُطِفُ قولُه تعالَى: ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ على الجملةِ السَّابقةِ؛ لأنَّها "تتميمٌ لهَا، إذِ المقصودُ منْ مجموعهمَا أَنَّ لهم عذابين؛ عذابًا في الدّنيَا، وعذابًا في الآخرةِ"[4]؛ فالجملتان تُؤدِّيان معنًى واحدًا، وهو إثباتُ العذابِ للمانع السّاعي في خرابها

(1) السُّيُوطي، مُعتَرَك الأقرَان: 2/283.
(2) العَسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 250.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 4/12.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/682.

في الدَّارَينِ، وقد أُقيمتا مقامَ الجملةِ الواحدةِ، بعطف الشِّقِّ على شِقِّه الآخر، وعليه فالثَّانيةُ وإن كانت معطوفةً على الأولى، إلَّا أنَّ لها حكمَ فصلِ الأولى عن سابقتها.

الإشعارُ بقوَّة العذابَين واستقلالِهما

نكتةُ إعادةِ ذكرِ الجارّ والمجرور:

أُعيدَ ذكرُ الجارِّ والمجرورِ ﴿وَلَهُمْ﴾ للإشعارِ "بكمال قوة الجزاءين"[1]، وفيه تأكيدٌ لاستحقاقِهم العذابَين، وأنَّ كلَّ عذابٍ مُستقِلٌّ بنوعِه؛ فلا يُخفِّف وقوعُ الأوَّلِ من إنزالِ الآخرِ بالمجرمين.

مناسبةُ الوصفِ في فاصلةِ الآية لمطلعِها؛ فالأظلميَّةُ تُناسبُها الأعظميَّةُ

بلاغةُ الوَصفِ:

وُصفَ العذابُ بأنَّه عظيمٌ، وجيءَ للوصفِ بصيغةِ المبالغةِ؛ لبيانِ شدّة العذابِ وهولِه؛ "فَقَد وصفَهُ اللَّه تعالى بما جَرى مَجْرى النِّهايةِ في المُبالغةِ؛ لأنَّ الَّذين قَدَّمَ ذِكرَهُم وصفَهُم بأعظمِ الظُّلمِ، فَبَيَّنَ أنَّهُم يَستَحِقُّونَ العقابَ العظيم"[2]، وهذا في غاية التَّناسُب؛ فمَن أعظَمَ في ظُلمِه، استحقَّ أشدَّ العذاب.

(1) البَدوي، من بلاغةِ القرآن، ص: 96.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 4/12.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»